مجلة البحث العلمي في الآداب
(مجلة علمية محكمة)
(ISSN2356-8321) (Print)
(ISSN2356-833X) (Online)
https://jssa.journals.ekb.eg/

الإمام جعفر الصادق (ت: ١٤٨هـ/٧٦٥م) ونشأة المصطلحات الصوفية

د. أحمد حسن أنور حسن
أستاذ الفلسفة الإسلامية والتصوف المساعد
كلية الآداب- جامعة بورسعيد
ahmed5658103@yahoo.com

د.ريهام أبوالمعاطي صبحي
مدرس الفلسفة الإسلامية والتصوف
كلية الآداب – جامعة بور سعيد
rehammaaty@gmail.com

تاريخ الإرسال: ٢٠٢٣/٥/٤
تاريخ المراجعة: ٢٠٢٣/٦/٨
تاريخ القبول: ٢٠٢٣ /٧/٤
تاريخ النشر: ٢٠٢٣/٧/٥

المستخلص:

يتناول هذا البحث نشأة بعض المصطلحات الصوفية في فترة مبكرة من تاريخ التصوف الإسلامي، تلك الفترة المسماة بـ **"حركة الزهد في الإسلام"** وتحديدًا في النصف الأول من القرن الثاني الهجري مع شخصية: **الإمام جعفر الصادق** (ت: ١٤٨هـ/ ٧٦٥م) الذي أخذ مكانة مركزية فيما بعد في **"المصنفات الصوفية"** التي دونت في القرنين الرابع والخامس الهجريين بفضل خبرته الروحية التي ظهرت بوضوح من خلال تتبع بعض المصطلحات الصوفية لديه.

والجدير بالذكر أن هذه الورقة البحثية قد أوضحت أن أول ظهور للمستويات الثلاثة [أو للتقسيم الثلاثي] للمصطلحات الصوفية (**عامة، خاصة، خاصة الخاصة**) يمكننا رصده بوضوح مع الإمام جعفر الصادق (ت: ١٤٨هـ/ ٧٦٥م) وقد أثر هذا التقسيم في مختلف المصنفات الصوفية اللاحقة عليه بوضوح.

وقد ركز البحث على رصد الرؤية والتجربة والخبرة الصوفية للإمام جعفر الصادق خاصة للمصطلحات الصوفية التالية: (**التوبة، الخوف، التوحيد**)، بالإضافة إلى التركيز على عمق خبرته وتجربته الصوفية التي ظهرت وبوضوح مع رصدنا لموقفه من مصطلح **"الحب/ المحبة"** وذلك عن طريق رصد المعجم اللغوي لجذر (**ح ب ب**) من نصوصه ابتداءً، وصولا إلى الحقل الدلالي الثلاثي لمصطلح المحبة لدية انتهاءً، مع إيضاح سبقه الزمني للاهتمام بمفهوم المحبة.

الكلمات المفتاحية:
الإمام جعفر الصادق، المصطلحات الصوفية، التصوف الإسلامي

DOI: 10.21608/JSSA.2023.208585.1504

تمهيد.

١- خلفية تحليلية تاريخية للمصطلحات الصوفية.

٢- التعريف بالإمام جعفر الصادق (ت: ١٤٨هـ/ ٧٦٥م).

٣- منزلة ومكانة الإمام جعفر الصادق في التراث الصوفي.

٤- التفسير الصوفي لجعفر الصادق وعلاقاته بنشأة المصطلحات الصوفية.

٥- بعض المصطلحات الصوفية عند الإمام جعفر الصادق:

أولاً- مصطلح التوبة.

ثانيًا- مصطلح الخوف.

ثالثًا- مصطلح التوحيد.

رابعًا- مصطلح المحبة.

أ) المعنى الأصلي لمادة (ح ب ب).

ب) المعجم اللغوي لمادة (ح ب ب) عند الإمام جعفر الصادق.

ج) ملاحظات بعد رصد الشكل اللغوي لمعجم مادة (ح ب ب).

د) التحليل الدلالي (Semantic analysis) للأقوال.

ه) السبق الزماني لاهتمام الإمام جعفر الصادق بمصطلح المعرفة.

خامسًا- مصطلح المعرفة.

٦- النتائج.

تمهيد:

إذا كانت حركة الزهد قد قدمت الأفكار والمبادئ التأسيسية للمصطلحات والمفاهيم الصوفية فإننا نعتقد أنه من الضروري ابتداءً رصد وتتبع نشأة المصطلحات الصوفية المركزية في هذه المرحلة، خاصة في فترتها المبكرة (النصف الأول من القرن الثاني الهجري) وذلك في محاولة منا لاكتشاف الأساس المعرفي الذي أدى إلى تشكيل البنية الرئيسية للمصطلحات والمفاهيم في فترة ميلادها الأولى. ومن هنا تأتي **أهمية** دراسة نشأة بعض المصطلحات الصوفية لدى الإمام جعفر الصادق (ت: ١٤٨هـ/ ٧٦٥م) فمن الملاحظ:

أولاً- أن كافة المصطلحات الصوفية التي نشأت وظهرت في تلك الفترة هي **إسلامية المصدر** خالية من أي تأثر بالثقافات والحضارات الأخرى (خاصة أنها قد ظهرت قبل ظهور حركة الترجمة من اللغة اليونانية عن طريق اللغة السريانية إلى العربية)، لذلك يمكننا القول بأن المصطلحات الصوفية التي ظهرت في تلك الفترة (النصف الأول من القرن الأول الهجري) تقدم **"التصور الإسلامي الخالص للخبرة الروحية في مرحلتها التأسيسية"**.

ثانيًا- ظهرت هذه المصطلحات الصوفية في عصرها المبكر من خلال الخبرة الذوقية للقرآن الكريم؛ فكافة المصطلحات الصوفية لدى الإمام جعفر لا يمكن عزلها عن تفسيره لكتاب الله عز وجل. ولنا أن نتذكر أن تفسير **الإمام جعفر الصادق** (ت: ١٤٨هـ/ ٧٦٥م) هو من أول تفسيرين للقرآن الكريم نجدهما في الإسلام، تفسيره من ناحية، وتفسير معاصره **مقاتل بن سليمان** (ت: ١٥٠هـ/ ٧٦٧م) من ناحية

أخرى، ولا يمكننا أن نعرف أي التفسيرين يسبق الآخر، خاصة إذا عرفنا أن تدوين التفسيرات القرآنية المبكرة قد تمَّ في مرحلة متأخرة من الحضارة الإسلامية.

ثالثًا- كافة المصطلحات الصوفية التي ظهرت عند الإمام جعفر الصادق جاءت جميعها تفسيرًا للآيات القرآنية، وهذا الأمر يؤكد على: **أصالة الخبرة الروحية المبكرة في الإسلام**.

رابعًا- من الملاحظ أن كافة المصطلحات الصوفية الواردة لدى الإمام جعفر الصادق خالية من أي أفكار أو أقوال قد تتعارض (ولو تعارض ظاهري) مع القرآن الكريم والسنة النبوية، فبالرغم من أن أقواله تقدم خبرة روحية وذوقية رفيعة- يمكننا وصفها بالفريدة والمتطورة كما سيظهر في هذا البحث- إلا أنها قد جاءت خالية من أي ارتباط بما يسمى بـ **"الشطحات الصوفية"** من ناحية، كما جاءت خالية من أي **"نسق أسطوري"** من ناحية أخرى.

خامسًا- يظهر من خلال البحث مدى تأثير الإمام جعفر الصادق في الخريطة الفكرية والذوقية للتصوف الإسلامي من خلال ما يمكننا تسميته بـ **"محاولته التأسيسية لبعض المصطلحات الصوفية"** كمصطلح **"التوحيد، المحبة، المعرفة"** على سبيل المثال لا الحصر. وهذا الأمر لا يمكن فصله عن حضور اسم وأقوال ونصوص الإمام جعفر الصادق في مختلف المصنفات الصوفية الكبرى.

فروض وتساؤلات الدراسة:

أولاً- هل يظهر المصطلح الصوفي الواحد لدى الإمام جعفر الصادق بمعنى ثابت، أم أن المصطلح لديه قد يأخذ عدة معاني ويظهر بعدة أشكال ودلالات متغيرة؟

ثانيًا- ما أبرز المصطلحات الصوفية لدى الإمام جعفر الصادق (ت: ١٤٨هـ/ ٧٦٥م)؟ وإلى أي مدى أثرت تلك المصطلحات الصوفية (في مرحلتها التأسيسية) في خريطة التصوف الإسلامي؟

ثالثًا- هل كان للإمام جعفر الصادق السبق الزمني في التأسيس لمصطلح ومفهوم المحبة في التصوف الإسلامي؟

رابعًا- ما هو المصطلح الصوفي المركزي لدى الإمام جعفر الصادق؟ وهل هذا المصطلح يؤدي من خلال تتبعه وتحليله إلى الوصول للنظام المفهومي (**Conceptual System**) للمصطلحات الأخرى؟ وإذا أدى إلى ذلك فهل من الممكن أي يؤدي إلى تشكيل حقول دلالية (**Semantic fields**) واضحة المعالم والأركان؟

منهج الدراسة:

إذا كان مصطلح المنهج يعني الإجراءات المنهجية المحددة التي سيعتمد عليها الباحثان في الدراسة، فإننا نشير إلى أن هذا البحث سيعتمد على المنهج التاريخي من ناحية، والمنهج الدلالي (**Semantic**) في التحليل من ناحية أخرى، مع مراعاة الاعتماد على بعض الإجراءات الأخرى في التحليل التي ستظهر مع مصطلحات الدراسة، فإذا كنا في مصطلح **"المحبة"** قد اعتمادنا على المقارنة بين الأصل اللغوي لمادة (ح ب ب) من ناحية، والتحليل الدلالي للمصطلح وصولا إلى الحقول الدلالية الثلاثة من ناحية أخرى، فإن هذا الإجراء سيتغير مع مصطلح **"المعرفة"** لأن أقواله في هذا المجال لا تساعد على ذلك، خاصة أنها تقدم شيئًا آخر يؤدي بالوصول إلى رؤية بعدية ورؤية قبلية (Dimension vision and Pre vision) للمصطلحات الصوفية الواردة لديه.

١. خلفية تحليلية تاريخية للمصطلحات الصوفية:

يعتبر موضوع المصطلحات الصوفية من أهم وأصعب الموضوعات في التصوف الإسلامي. فقد اهتم أغلب أصحاب المصنفات الصوفية بتعريف معاني أغلب وأهم المصطلحات، كذلك اهتم بعضهم بوصف تلك العلاقة الجدلية بين المصطلحات الصوفية معنى ودلالة. إلا أنهم في الوقت نفسه اختلفوا فيما بينهم في الكثير من الأمور المرتبطة بهذا الموضوع. ويعد اختلافهم في هذا الموضوع أمرًا يميز فردية التجربة الصوفية من صوفي لآخر. فالمصطلح قد يبدو أنه واحدًا، لكن معانيه ستختلف من متصوف لآخر، فقد تأخذ أشكال ودلالات مختلفة ومتعددة.

فُكتَّابُ التصوف كَلِفُون بالتقسيمات والتفريعات للموضوع الواحد، وعذرهم في ذلك كثرة التغييرات النفسية الطارئة على العبد أثناء سيره في رحلة الطريق إلى الله، وهي تغيرات متلاحقة أعانهم على التعبير عنها ثراء اللغة العربية بالمفردات المتقاربة والمتفاوتة في المعنى والدرجة في الوقت نفسه، وقد أثبتت اللغة العربية أن لديها قدرة كبيرة في التعبير عن أدق الخلجات النفسية والحالات الوجدانية عند قوم تغلغلوا في باطن النفس وشعَّبوا أدق أجزائها وحللوا ألطف أسرارها... والجدير بالذكر أن التجارب الصوفية رغم اختلافها من صوفي لآخر يمكن رصدها ودراستها عن طريق معرفة رؤيته لمعاني المصطلحات الصوفية لديه.

ورغم اختلاف الصوفية في عدد أو ترتيب أو تنظيم تلك المصطلحات فإن هذا الأمر لا يعد سلبيًا بل أمرًا إيجابيًا لأنه أدى إلى ثراء التصوف الإسلامي بمادة هائلة عَبَّرت عن العديد من التجارب المختلفة هذا من جهة. ومن جهة أخرى ربما يؤدي بنا هذا الاختلاف والتعدد إلى التشتت. نظرًا لعدة أمور:

أولها: إن المصطلح الواحد قد تتعدد معانيه من صوفي لآخر، بالإضافة إلى أنه قد يأخذ عدة أبعاد ومعاني لدى المتصوف نفسه.

ثانيًا: أن بعض هذه المصطلحات التي تُكون بتجمعها نظرية متكاملة [أو شبه متكاملة] في المقامات والأحوال الصوفية قد يتساقط بعضها عند صوفي ليظهر عند آخر، بمعنى أن مصطلحًا ما قد يظهر عند صوفي ولا يظهر على الإطلاق عند غيره من الصوفية.

ثالثًا: لم تقدم الدراسات السابقة تفاصيل دقيقة وواضحة المعالم والأركان لتاريخ ظهور كل مصطلح من المصطلحات الصوفية [اللهم إلا ما ندر]، مما يجعل هناك صعوبة بالغة في تتبع نشأة المصطلحات التي ساهمت في تأسيس وظهور التصوف الإسلامي بشكله المتكامل.

رابعًا: لم تقدم الدراسات السابقة تفاصيل ظهور أول ترتيب منظم في التدرج لبعض المصطلحات الصوفية، مما يجعل رصده أمرًا بالغ الصعوبة...

كل هذه الأمور حفزتنا على الإقدام في إعداد هذا البحث وندعو الله أن يوفقنا في نتائجه، ونود أن نشير إلى أن أيّة نتائج قد تظهر فى هذا البحث ستظل نسبية وقابلة للنقاش العلمي فى الحاضر والمستقبل نظرا لتعدد النصوص الصوفية المنشورة والمخطوطة. كما أن المصادر التاريخية لا تقدم لنا وصفًا جامعًا مانعًا للعناصر المرتبطة بالدراسة.

ويمكن القول بوجود ارتباط وثيق بين نشأة وتطور حركة الزهد من جهة ونشأة ما يسمى بالمصطلحات الصوفية من جهة أخرى. إذا اعتبرنا أن تاريخ التصوف الإسلامي بأكمله أشبه بخارطة عليها بعض مصطلحات هذا الطريق التي تظهر بمستويات ودرجات متفاوتة.

ولعل أبرز دليل على ذلك هو نشأة العديد من المصطلحات المركزية التي شكلت مبادئ التصوف في القرنين الأول والثاني الهجريين. فنجد الحسن البصري (ت: ١١٠هـ/ ٧٢٨م) يهتم بـ (**الزهد والخوف** وغيرهما من المصطلحات)، والإمام جعفر الصادق (ت: ١٤٨هـ/ ٧٦٥م) يهتم بـ (**التوحيد والمحبة والمعرفة** وغيرهما من المصطلحات) وإبراهيم بن أدهم (ت: ١٦١هـ/ ٧٧- ٧٧٨م)- يهتم بـ (**التوبة ثم المحبة والولاية**)، ثم تتطور فكرة المحبة وتأخذ أبعادًا أعمق لدى رابعة العدوية (ت: ١٨٥هـ/ ٨٠١م) مضيفة عنصرًا جديدًا هو الحب الذي يتخذ منه الإنسان وسيلة إلى مطالعة جمال الله الأزلي[١].

ونجد شقيق البلخي (ت: ١٩٥هـ/ ٨١٠م) يهتم بـ (بترتيب بعض المصطلحات ترتيبًا متدرجًا من الأدنى إلى الأعلى بشكل مقصود ربما يأتي لأول مرة في تاريخ التصوف)، ثم يأتي أبو سليمان الداراني (ت: ٢١٥هـ/ ٨٣٠م)- ليعيد التركيز على بمصطلح (**المعرفة**).. والعديد والعديد من الشخصيات والأفكار الهامة في تلك المرحلة. وتلك هي أهم المصادر التي استسقى منها صوفية القرون التالية بعض أفكارهم المرتبطة بالتصوف بصفة عامة والمصطلحات الصوفية بصفة خاصة. ليأتي القرن الثالث الهجري وتظهر بعض المصطلحات مترابطة مع بعضها البعض كما ظهر مع الجنيد البغدادي (ت: ٢٩٨هـ/ ٩١٠م) الذي ربط بين مصطلحات: (**الميثاق والفناء والتوحيد**) في منظومة واحدة يصعب فهم بعضها دون الآخر.

وبعد ذلك يأتي القرنين الرابع والخامس الهجريين ونجد أن صوفية هذه الفترة قد غلب عليهم طابع تدوين آراء السابقين عليهم. فصحيح أن بعض صوفية القرن الثالث الهجري قد دونوا بعض أعمالهم إلا أن أغلبهم لم يهتم بالتدوين مثل: سري السقطي (ت: ٢٥٣هـ/ ٨٦٧م)، أبو يزيد البسطامي (ت: ٢٦١هـ/٨٧٤م أو ٢٦٤هـ/٧٧-٨٧٨م)، أبو الحسين النوري (ت: ٢٩٧هـ/ ٩٠٧م)، رويم بن أحمد البغدادي (ت: ٣٠٣هـ/ ٩١٥م)، والعديد والعديد من صوفية القرن الثالث. أما صوفية القرنين الرابع والخامس فقد اهتموا بتدوين التراث الصوفي السابق عليهم. ومن هنا أطلق الصوفية أنفسهم على هذه المرحلة اسم "**مرحلة ظهور المصنفات الصوفية**".

وهنا تظهر إشكالية هامة هل قام صوفية القرنين الرابع والخامس بتدوين آراء السابقين فقط؟ أم أنهم سجلوا آراء السابقين وفي الوقت نفسه عرضوا تجاربهم الصوفية؟ وقبل محاولة تقديم إجابة لهذا التساؤل نلاحظ شيئًا هامًا هو أن الأقوال الصوفية (المادة الخام) التي جمعها أغلبهم كانت متشابهة إلى حد التطابق في بعض الأحيان، ليس هذا فحسب بل سنجد أبوابًا كاملة تتطابق في العبارات مثل: تشابه السراج الطوسي (ت: ٣٧٨هـ/ ٩٨٨م) في كتابه ***اللمع*** مع عبد الملك الخركوشي (ت: ٤٠٧هـ/ ١٠١٥م)- في كتابه ***تهذيب الأسرار*** بل يتجاوز الأمر التشابه ليصل إلى التطابق أحيانا/ تشابه أبو بكر الكلاباذي (ت: ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) في كتابه ***كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف*** مع كتاب ***اللمع*** للسراج الطوسي/ تشابه عبد الكريم القشيري (ت: ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م) في ***الرسالة القشيرية*** مع معاصره أبو الحسن الهجويري (ت: ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م) في كتابه ***كشف المحجوب*** والعديد والعديد من نماذج التشابه والتطابق بسبب حرصهم على تدوين آراء السابقين، إلا أن الأمر المهم هنا أنه رغم التشابه في المصطلحات والأقوال والمصادر الذي قد يصل كما ذكرنا إلى حد التطابق إلا أن لكل منهم تجربته الصوفية الذوقية الخاصة والفريدة.

---

[١] أبو الوفا التفتازاني، **مدخل إلى التصوف الإسلامي**، ص٨٦.

وتلك التجربة الخاصة بكل صوفي من صوفية القرنين الرابع والخامس الهجريين يمكن رصدها وملاحظتها بوضوح عند دراسة موقفه من معنى المصطلحات الصوفية.

ومما سبق نكتشف أن موضوع المصطلحات الصوفية من أهم وأوسع الموضوعات التي ما زالت في أمس الحاجة إلى جهود دارسي التصوف الإسلامي. وما يهمنا في هذا البحث هو الكشف عن موقف الإمام جعفر الصادق (ت: ١٤٨هـ/٧٦٥م) من المصطلحات الصوفية (في النصف الأول من القرن الثاني الهجرى) وهي فترة مبكرة في تاريخ التصوف الإسلامي لم يشر إليها بعناية وتركيز في العديد من الدراسات السابقة.

٢ـ التعريف بالإمام جعفر الصادق (ت:١٤٨هـ/ ٧٦٥م):

هو أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب، ولد الإمام جعفر عام (٨٠هـ/ ٦٩٩م) أي أنه ولد في السنة التى ولد فيها عمه زيد بن على، والإمام أبو حنيفة النعمان. وينتسب الإمام جعفر إلى رسول الله ﷺ من جهة الأب، ومن جهة الأم ينتسب إلى أبى بكر الصديق. وكان عمه يتزعم حركة الشيعة السياسية، وذات مرة قال: "من أراد الجهاد فإلىَّ، ومن أراد العلم فإلى ابن أخي"[٢]. لقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب، وكان من أجلاء التابعين وله منزلة رفيعة وأخذ عنه الإمامان أبو حنيفة ومالك[٣]، ويعتبر جعفر الصادق عند السُّنة عالمًا محدِّثًا ثقة، وعند الشيعة الإثنى عشرية الإمام السادس، وعند الغلاة وليًا، وعند الصوفية شيخها وكبيرها، وعند أصحاب الكيمياء وعلوم الأوائل معلمها الكبير[٤].

ويصف الشهرستاني الإمام جعفر الصادق بأنه: "ذو علم غزير، وورع تام، وقد أقام بالمدينة يفيد الشيعة[٥] المنتمين إليه، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم.. ورفض وتبرأ من القول بالغيبة والرجعة والبداء والتناسخ والحلول والتشبيه"[٦]. ويضيف شريك بن عبد الله قائلا: إن جعفرًا كان رجلا صالحًا مسلمًا ورعًا، فاكتنفه قول جهال يدخلون عليه ويخرجون من عنده ويقولون: حدثنا جعفر... ويحدثون

---

[٢] علي سامي النشار، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، ج٢، ص١٦١-١٦٢.

[٣] الزركلي، **الأعلام**، ٢/١٢٦.

[٤] أحمد خواجة، **الله والإنسان في الفكر العربي والإسلامي**، ص١٦٥.

[٥] من الضروري التمييز بين معنى مصطلح شيعة في عصر جعفر الصادق، وبين معنى مصطلح شيعة في العصور التالية، وهذا يتطلب التمييز بين المعنى الأساسي Basic Meaning والمعنى العلاقي Relational Meaning لمصطلح شيعة، كما أن هذا يتطلب التمييز أيضا بين المعنى اللحظي أو السكوني Synchronic والمعنى التعاقبي Diachronic لمصطلح شيعة... لأننا نعتقد أن معنى مصطلح شيعة في عصر جعفر الصادق كان يرتبط بموقف سياسي خاصة بعد استشهاد الإمام علي بن أبي طالب وظهور الاستبداد السياسي في ظل الدولة الأموية وما شابه ذلك... لذلك يرجى التمييز بين الأبعاد المختلفة لمصطلح شيعة عبر الزمان.. حول نشأة وظهور مصطلح شيعة في القرن الأول الهجري، انظر: ما ذكره الزمخشري، وابن الأثير، وابن حزم الأندلسي راجع:
– عبد الحليم الجندي، **الإمام جعفر الصادق**، ص٣٠ وما بعدها.

[٦] الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج١ ص٢٧٢.

بأحاديث كلها منكرات كذب موضوعة على جعفر يستأكلون الناس بذلك ويأخذون الدراهم[٧]. هذا هو رأي أهل السنة في الإمام جعفر، ولم نجد من علماء السنة من هاجم الإمام جعفر الصادق، حتى شيخ الإسلام الإمام بن تيمية، بل اعتبره رجلا دينيًا فقهيًا محدثًا من أعلام أهل البيت[٨].

أما الشيعة فيقدمون لنا صورة مخالفة لجعفر الصادق، فهو الإمام السادس عند الإثنى عشرية، وينسبون إليه الجفر الأبيض[٩]. ويعلق الدكتور علي سامي النشار بقوله: وما أبعد آراء جعفر الصادق الكلامية والفقهية عن آراء وكلام وفقه الإثنى عشرية[١٠]. كما أن الدكتور أحمد خواجه يعلق قائلا: إن النقد الداخلي والخارجي لهذه الأقوال المنسوبة إليه [جعفر الصادق] يقدح في صحتها وقد جزم عدد كبير من المؤرخين بأن هذه الآراء نسبت إليه وهو منها براء[١١].

٣ـ منزلة ومكانة الإمام جعفر الصادق في التراث الصوفي:

لعل أبرز دليل على المكانة الهامة للإمام جعفر الصادق عند صوفية الإسلام هو مدى وجوده في المصنفات الصوفية الكبرى. فلو تتبعنا بالترتيب التاريخي المصنفات الصوفية لوجدنا ما يأتي:

١) في كتاب ***التعرف لمذهب أهل التصوف*** نجد اسم جعفر الصادق تحت باب "في رجال الصوفية ممن نطق بعلومهم وعبر عن مواجيدهم ونشر مقاماتهم ووصف أحوالهم"[١٢]. وهكذا يرى أبو بكر الكلاباذي (ت: ٣٨٠هـ/٩٩٠م) أن الإمام جعفر الصادق من الشخصيات الصوفية الهامة.

٢) وفي كتاب ***قوت القلوب*** وردت تسع عبارات لجعفر الصادق؛ وارتبطت هذه العبارات بـ "مقامات التلاوة الثلاث، الشكر، والرضا، وباطن وظاهر الإيمان، وشرح معاملة القلب، والانشغال بالله عمن سواه"[١٣]. ويبدو تأثر أبي طالب المكي (٣٨٦هـ/٩٩٦م) بتقسيم جعفر الصادق للناس إلى ثلاث مراتب، خاصة في عبارته الشهيرة: **"كتاب الله على أربعة أشياء: العبارة للعوام؛ والإشارة للخواص؛**

---

[٧] الذهبي، **ميزان الاعتدال**، ج٢، ص٢٨٥.

[٨] علي سامي النشار، **نشأة الفكر الفلسفي**، ج٢، ص١٦٣.

[٩] الجفر الأبيض في رأى الشيعة يحتوي على زبور داود، وتوراة موسى وإنجيل عيسى وصحف إبراهيم وفيه أيضا الحلال والحرام أي الفقه، ومصحف فاطمة. وفيه كل ما يحتاج إليه الناس، كما يحتوي الجفر أيضا على أخبار الملوك المتعاقبين وأسمائهم وأسماء آبائهم من ملك يملك إلا وهو مكتوب فيه اسمه واسم أبيه، كما نسب فيه إلى جعفر الصادق قول: ورب الكعبة لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما لأن الخضر وموسى أعطيا علم ما كان، ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن، حتى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله وراثة... لمزيد من التفاصيل انظر: علي سامي النشار، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، ج٢، ص١٦٣...

[١٠] المرجع السابق، ج٢، ص١٦١.

[١١] أحمد خواجه، **الله والإنسان في الفكر العربي الإسلامي**، ص١٦٦.

[١٢] أبو بكر الكلاباذي، **كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف**، ص٢٢.

[١٣] لمزيد من التفاصيل انظر: أبو طالب المكي، **قوت القلوب**، جـ١ ص١٠١، جـ٢ ص٤١٨.

واللطائف للأولياء؛ والحقائق للأنبياء"[١٤]، كما يظهر بوضوح تأثير جعفر الصادق على أبو طالب المكي خاصة في باب شرح مقام الشكر ووصف الشاكرين.

٣) وفي كتاب ***أسرار التوحيد في مقامات أبي سعيد*** ورد اسم جعفر الصادق (ثلاث مرات)، فيذكر مصنف الكتاب: "أن أبا يزيد البسطامي (ت: ٢٦١هـ/٨٧٤م أو ٢٦٤هـ/٧٧-٨٧٨م) قد اعتنق مذهب الإمام جعفر الصادق (ت:١٤٨هـ/٧٦٥م) لأنه كان شيخه، وإمام أسرة المصطفى المباركة صلوات الله عليهم"[١٥]. وفي موضع آخر يذكر سلسلة تقلد الخرقة الصوفية والتي يردها إلى الإمام جعفر الصادق[١٦].

٤) ولم يرد اسم جعفر الصادق على الإطلاق في ***كتاب اللمع*** لأبي نصر السراج الطوسي (ت:٣٧٨هـ/ ٩٨٨م) رغم استخدام الطوسي للتقسيم الثلاثي (عامة، خاصة، خاصة الخاصة) في أغلب أبواب كتابه بوضوح تام. وعدم وجود اسم جعفر الصادق في كتاب اللمع يطرح بعض التساؤلات: هل لم يعرف الطوسي الإمام جعفر الصادق فعلا؟! وإن كان قد عرفه، فما الي منعه من عدم الاستشهاد ببعض أقواله؟ ليس هذا فحسب، بل إننا نجد استشهاد السراج الطوسي ببعض الآيات التي فسرها الإمام جعفر الصادق، كما نجد في كتاب اللمع تفسيرات قد تصل إلى حد التطابق مع تفسير جعفر الصادق لهذه الآيات[١٧].

٥) وفي كتاب ***تهذيب الأسرار*** لعبد الملك الخركوشي (٤٠٦هـ/١٠١٥م) ورد اسم جعفر الصادق (ثماني وعشرين مرة) بالإضافة إلى بعض تفسيراته التي لم يذكر بجوارها اسمه، وقد ارتبطت الأقوال التي أوردها الخركوشي لجعفر الصادق بعدة موضوعات منها (الخوف، التوبة، المعرفة، المراقبة، المحبة، الفقر، التفرقة بين الظاهر والباطن) ليس هذا فحسب، بل قدم الخركوشي بعض تفسيرات الإمام جعفر الصادق لبعض الآيات القرآنية، وبعض هذه التفسيرات غير موجود بكتاب **"حقائق التفسير"** أو كتاب **"زيادات حقائق التفسير"**. وهذا يجعلنا نطرح بعض التساؤلات: هل تفسير هذه الآيات هو بالفعل للإمام جعفر الصادق؟ وإن كان تفسير هذه الآيات للإمام جعفر الصادق فلماذا تغاضى عنها عبد الرحمن السلمي (ت:٤١٢هـ/١٠٢١م)، ولم يلحقها بكتاب حقائق التفسير أو زيادات حقائق التفسير؟[١٨].

---

[١٤] علي زيعور، **الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص٧١.

[١٥] محمد بن أبي سعيد، **أسرار التوحيد في مقامات أبي سعيد**، ص٣٧.

[١٦] حيث يقول: "كان الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قد تقلدها من يد أبي القاسم النصراباذي، والنصراباذي من يد الشبلي، والشبلي من يد الجنيد، والجنيد من يد سري السقطي، والسقطي من يد معروف الكرخي، والكرخي من يد جعفر الصادق، لمزيد من التفاصيل، انظر: محمد بن أبي سعيد، **أسرار التوحيد في مقامات أبي سعيد**، ص٥٠.

[١٧] للوقوف على التشابه بين ما ذكره الطوسي عن تفسير بعض الآيات ومقارنته مع تفسير جعفر الصادق نكتفي بإبراز مثال واحد فقط، انظر تفسير الآية رقم (٣٧) من سورة ق، انظر: السراج الطوسي، **كتاب اللمع**، ص ١٠٠. قارن ما ذكره جعفر الصادق، انظر: علي زيعور، **الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص١٥٥.

[١٨] قدم الخركوشي بعض التفسيرات لجعفر الصادق غير الموجودة في كتب السلمي مثل: تفسير جعفر الصادق لقوله تعالى (حم، عسق) [سورة الشورى، الآيات: ١-٢] فقال جعفر: الحاء حلمه، والميم ملكه، والعين عظمته، والسين سناؤه، والقاف قدرته، يقول الله

٦) وفي ***طبقات الصوفية*** لأبي عبد الرحمن السلمي (ت: ٤١٢هـ/ ١٠٢١م) ورد اسم جعفر الصادق مرتين، وارتبط اسمه بإسناد الحديث[١٩]. ورغم عدم تقديم عبد الرحمن السلمي بعض صفحات عن الإمام جعفر الصادق ضمن كتابه الشهير **"طبقات الصوفية"** إلا أننا نجد تبريرًا لذلك وهو: أن السلمي قد بدأ بالطبقة الأولى المنتمية للنصف الأخير من القرن الثاني الهجري وما بعده. كما يجب ألا ننسى أن عبد الرحمن السلمي قد أورد اسم جعفر الصادق بحسب ما يظهر من قراءة كشاف الأعلام في كتابه **"زيادات حقائق التفسير"** حوالي مائة وخمسين مرة[٢٠].

٧) وفي ***الرسالة القشيرية*** ورد اسم جعفر الصادق (خمس مرات) وارتبط اسمه ببعض الموضوعات الصوفية المهمة مثل (التوحيد والمعرفة والشكر).

ليس هذا فحسب، بل لقد ذكر ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) في كتابه ***صفة الصفوة*** أن جعفر الصادق قد التقى بالزاهد المصري المعروف الليث بن سعد (ت:١٧٥هـ/٧٩١م) في مكة المكرمة سنة ١١٣هـ، كما يذكر أنه كان على اتصال بالزاهد المشهور سفيان الثوري (ت:١٦١هـ/٧٧٧م)[٢١]، ويذكر القشيري تفاصيل لقاء حدث بين جعفر الصادق وشقيق البلخي (ت:١٩٥هـ/٨١٠م)[٢٢]. ويذكر الهجويري في كتاب ***كشف المحجوب*** أنه كان يعظ داود الطائي (ت:١٦٥هـ/٧٨١م)[٢٣].

إذن نحن بصدد شخصية لها مكانتها الكبيرة في التصوف الإسلامي بصفة عامة، وآرائها المرتبطة بموضوع المصطلحات الصوفية بصفة خاصة.

ومن الضروري منذ البداية التأكيد على أن كتاب حقائق التفسير وزيادات حقائق التفسير المنسوبان للإمام جعفر الصادق لا ينفصلان بشكل مباشر أو غير مباشر عن موضوع المصطلحات الصوفية.. حتى وإن بدا هذان الكتابان على أنهما تفسير عرفاني للقرآن الكريم. إلا أن أغلب جزئيات هذين الكتابين تعبر عن مواقف متعددة تجاه أهم المصطلحات الصوفية؛ وسنثبت ذلك في هذا البحث.

ومن هذا المنطلق فإن المادة التي سنعتمد عليها في هذا الصدد ستكون تفسير الإمام جعفر الصادق المعروف باسم: **"*حقائق التفسير*"**، و**"*زيادات حقائق التفسير*"**. زد على ذلك أن تفسير الإمام جعفر الصادق أخذ مكانة مركزية وسط التفسيرات القرآنية المتعددة[٢٤].

عز وجل: "بحلمي وملكي وعظمتي وسنائي وقدرتي لا أعذب بالنار من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله"، انظر: عبد الملك الخركوشي، **تهذيب الأسرار**، ص٢٢١.

[١٩] عبد الرحمن السلمي، **طبقات الصوفية**، ص٤٩٨.. وص ٥٠٥.

[٢٠] علي زيعور، **الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص٤٠.

[٢١] لمزيد من التفاصيل، انظر: عبد الرحمن بن الجوزي، **صفة الصفوة**، ص١١٤– ١١٨.

[٢٢] عبد الكريم القشيري، **الرسالة القشيرية**، ج٢، ص٤٧٧– ٤٧٨.

[٢٣] أبو الحسن الهجويري، **كشف المحجوب**، ج١، ص٢٨٣–٢٨٤.

[٢٤] قد يُعاد إلى عبد الرحمن السلمي (ت:٤١٢هـ/١٠٢١م) فضل جمع وتدوين النصوص التفسيرية للقرآن الكريم المنسوبة للإمام جعفر الصادق (ت:١٤٨هـ/٧٦٥م)، فقد دونها عبد الرحمن السلمي في كتاب "حقائق التفسير" ثم "زيادات حقائق التفسير"، بعد أن كانت متداولة شفهيا في الحلقات الصوفية ومحترمة جدا عند أئمة الشافعية بصفة خاصة وهنا يعتبر السلمي كنزا، وكاتبا سباقا، فلقد اختط طريقه في التفسير وبوَّب ونظَّم أقوال الصوفية، وأورد السلمي بحسب ما يظهر من قراءة كشاف الأعلام في "زيادات حقائق التفسير"

٤ـ التفسير الصوفي لجعفر الصادق وعلاقاته بنشأة المصطلحات الصوفية:

تُظهر بعض الدراسات الحديثة أن تطور الخبرة الروحية في التصوف يعود إلى عهود مبكرة، فقد ذهبت دراسة بولس نويا (Paul Nwyia d. 1980) إلى اعتبار الإمام جعفر الصادق (ت:١٤٨هـ/ ٧٦٥م) أحد كبار مشايخ الصوفية المبكرة[٢٥]، فتفسيره للقرآن الذي يحتويه تفسير عبد الرحمن السلمي (ت:٤١٢هـ/١٠٢١م) له نظرة غير تقليدية في الظواهر الصوفية فالعبارة الشهيرة للإمام جعفر الصادق: **"كتاب الله على أربعة أشياء: العبارة والإشارة واللطائف والحقائق. فالعبارة للعوام؛ والإشارة للخواص؛ واللطائف للأولياء؛ والحقائق للأنبياء"**[٢٦] تؤدي إلى ظهور أربعة مستويات: أولها تفسير العامة، وثانيها تلميحات للخاصة، وثالثها لطائف للعُبَّاد، وآخرها حقائق الأنبياء، هذه التعددية قد تؤدي بالإمام جعفر الصادق إلى اعتبار المؤمنين طبقات، كل طبقة تسير حسب درجة معارفها، وأصبح هذا المبدأ جوهريًا لدى الصوفية فيما بعد[٢٧]، فعندما تكلموا عن "المصطلحات الصوفية" قسَّم أغلبهم كل

اسم الصادق (١٥٠ مرة) تقريبا، وبنفس العدد جرى الاستشهاد بأحمد بن عطاء الآدمي (ت:٣٠٩هـ/٩٢٢م)، أما سهل التستري (ت:٢٨٣هـ/٨٩٦م) فأكثر من ذلك (١٩٠ مرة) بيد أن السلمي أورد (٢٩٥ مرة) أقوالا نسبها إلى بعضهم (قال بعضهم، قال بعض المتصوفة، قال بعض إخواننا) هذا البعض، من هو أو من يكون؛ لماذا هو مجهول أو مُغيب أو مخبؤ وغير مفصوح؟ أيكون مجهولا فعلا بالنسبة للسلمي، أم يكون السلمي نفسه حينا؟! على أية حال إنها طريقة تقليدية في التراث العربى تفرض الحذر والتدقيق. لمزيد من التفاصيل انظر: جعفر الصادق، **كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص٤٠. وبصفة عامة يتميز تفسير جعفر الصادق بطبيعته المرنة واللامحدودة، فهو تفسير قادر على التحول بسرعة إلى تأويل وفلسفة رمزية، وبذلك فهو يستطيع اختراق الأسوار بين مجالات الفكر، وينبغي هنا التأكيد على عدة أمور، **أولها:** يمكن التعامل مع هذا التفسير على أنه "تفسير إبداعي" يؤدي إلى التعمق في المعنى. **ثانيًا:** لا يتناقض هذا التفسير مع التفسيرات الأخرى، بل العكس، فقد استشهد أصحاب العديد من التفسيرات القرآنية الأخرى بهذا التفسير واعتبروه مرجعًا أساسيًا على مر التاريخ. ولتأكيد ذلك نقدم الإحصاء التالي على سبيل المثال لا الحصر: في تفسير أبي جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ/٩٢٣م) نجده يستشهد بتفسير جعفر الصادق أربع مرات. وفي تفسير الإمام الحاكم النيسابوري (ت:٤٠٥/١٠١٤هـ) للقرآن يستشهد بتفسير جعفر إحدى عشرة مرة. وفي تفسير أبي حيان الأندلسي (ت:٧٤٥هـ/١٣٤٤م) المعروف باسم "البحر المحيط" أورد تسع عشرة عبارة للإمام جعفر الصادق، وفي تفسير إسماعيل حقي (١١٣٧هـ/١٧٢٥م) المسمى بـ "روح البيان" استشهد بتفسير جعفر الصادق تسعًا وعشرين مرة. وفي تفسير أحمد بن محمد ابن عجيبة الحسيني (ت:١٢٢٤هـ/١٨٠٩م) استشهد أيضا بأقوال جعفر الصادق عشرين مرة. كذلك محمد الشوكاني (ت:١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م) يذكر ست عبارات للإمام جعفر في تفسيره المعروف باسم "فتح القدير". حتى نجد شهاب الدين الألوسي (ت:١٢٧٠هـ/١٨٥٤م) في تفسيره روح المعاني يستشهد بتفسير جعفر الصادق اثنتين وأربعين مرة. وهذا الحصر البسيط يدل على مدى تواجد وتأثير الإمام جعفر الصادق عبر القرون، فقد ظل حقا شخصية تحظى بمكانة كبيرة ومرموقة بل كان شخصية مرجعية سواء لدى السنة أو الشيعة.

[25] Paul Nwyia, ***Exegèse coranique et langage mystique***, Dar al-Machreq, Beirut, 1970.

[٢٦] علي زيعور، **الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص٧١. كما وردت العبارة بنفس النص في: عبد الملك الخركوشي، **تهذيب الأسرار**، ص٢٩١.

[٢٧] آنا مارى شيمل، **الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف**، ص٥١.

مصطلح إلى درجات وهي (العامة، والخاصة، وخاصة الخاصة)[٢٨]. وعلى وفق العبارة الشهيرة للإمام جعفر الصادق: "انبجست من المعرفة اثنتا عشرة عينًا يشرب كل أهل مرتبة في مقام من عين من تلك العيون على قدرها. فأول عين منها التوحيد؛ والثاني عينُ العبودية والسرور بها؛ والثالث عين الإخلاص؛ والرابع عين الصدق؛ والخامس عين التواضع؛ والسادس عين الرضا والتفويض؛ والسابع عين السكينة والوقار، والثامن عين السخاء والثقة بالله؛ والتاسع عين اليقين؛ والعاشر عين العقل؛ والحادي عشر عين المحبة؛ والثاني عشر عين الأنس والخلوة وهي عين المعرفة بنفسها ومنها تتفجر هذه العيون. فمن شرب من عين منها يجد حلاوتها ويطمع في العين التي هي أرفع منها، فلم يزل يشرب من عين إلى عين حتى يصل إلى الأصل. فإذا وصل إلى الأصل تحقّق بالحقّ"[٢٩]. وتعتقد الباحثة الألمانية آنا ماري شيمل (ت:٢٠٠٢م) أن هذه العبارة تشير إلى ملامح الخبرة الصوفية التي تنتقل بالمريد من عمق إلى عمق في اثنتي عشرة حالة يغوص خلالها الصوفي غوصا هادئا متقدما في طريقه[٣٠].

ومن المدهش أن نرصد وجود مصطلح "**مقام**" عشرين مرة في تفسير جعفر الصادق "**حقائق التفسير**"، كما رصدنا مصطلح "**حال**" إحدى وعشرين مرة على وجه التحديد، وبهذا الرصد نجد أن هناك سؤالا هاما يطرح نفسه علينا: ما معنى مصطلح "**مقام**" ومصطلح "**حال**" لدى جعفر الصادق؟... فحسب تفسير جعفر الصادق لقوله تعالى: (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ) [سورة الصافات، الآية:٢] يقول: الخلق مع الله على مقامات شتى، فللأنبياء مقام المشاهدة، وللرسل مقام العيان، وللملائكة مقام الهيبة، وللمؤمنين مقام الدنو والخدمة، وللعصاة مقام التوبة، وللكفار مقام الطرد والغفلة"[٣١]. وفي موضع آخر نجده يقول: قلبك مقام المعرفة، وبدنك مقام الطاعة[٣٢]. وطبقا لعبارته الأخيرة فإن القلب يجاهد من أجل الوصول إلى المعرفة، كما يجاهد البدن من أجل الطاعة. وفي موضع آخر نجده يحدد العلاقة بين المقامات والأحوال بقوله: لا يوفق لسلوك طريق الحق من لم يحكم مبادئ أحواله مع الحق، ومن أهمل مبادئ الأحوال كيف يرجى له التناهي فيها. وفي موضع آخر يقول: الأحوال في الأفعال كالروح في الأبدان، والأحوال إذا فارقتها الأفعال فهي جيفة منتنة[٣٣]. فحسب النصوص الواردة في حقائق التفسير، نعتقد أن جعفر الصادق يدرك الشكل والمعنى الصوفي لمصطلحي "**مقام**" و"**حال**"، وربما اقترب معناهما عنده من معناهما عند صوفية القرنين الثالث والرابع الهجريين.

٥- بعض المصطلحات الصوفية عند الإمام جعفر الصادق:

---

[٢٨] يقسم أغلب صوفية القرنين الرابع والخامس الهجريين كل مصطلح إلى ثلاثة مستويات، فقد قسم الطوسي والخركوشي والقشيري على سبيل المثال لا الحصر كل مصطلح إلى ثلاثة مستويات، مستوى يرتبط بالعامة، ومستوى يرتبط بالخاصة، ومستوى يرتبط بخاصة الخاصة.. لمزيد من التفاصيل انظر: أحمد حسن وجوزيبي سكاتولين، **الأبعاد الصوفية عند الملك الخركوشي**، ص١١٠، ص ١٢٥، ص ١٣٩.

[٢٩] علي زيعور، **الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص٩١.

[٣٠] آنا ماري شيمل، **الأبعاد الصوفية في الإسلام**، ص٥١.

[٣١] علي زيعور، **الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص١٤٤.

[٣٢] علي زيعور، **الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص٧٥.

[٣٣] علي زيعور، **الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص١٩٢.

أولا- مصطلح التوبة: قدم الإمام جعفر الصادق التوبة على كل أعمال الإنسان الإيمانية بقوله: لا تصح العبادة إلا بالتوبة. ويعلق على بن موسى الرضا (حسب رواية عبد الرحمن السلمي) قائلا: إن جعفر الصادق قدم التوبة حتى على العبادة[٣٤]. وهنا يتفق جعفر الصادق مع أغلب الصوفية على اعتبار التوبة أول المقامات طبقا لقوله تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأرض أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)[٣٥].

ويظهر بمنتهى الوضوح أن جعفرًا الصادق يعتبر التوبة مقامًا ويقول ذلك صراحة: **"مقام التوبة"**. وبكل سهولة يمكن رصد ثلاث مستويات دلالية لمصطلح التوبة لدى جعفر الصادق. ففي المستوى الأول تظهر التوبة بمعناها البسيط حين يقول: للعصاة مقام التوبة[٣٦] هذا هو معنى التوبة لدى العوام. كما يظهر مصطلح التوبة بشكل مختلف لدى الخاصة حين يقول: يحب التوابين من سؤالاتهم، ويحب المتطهرين من إرادتهم[٣٧]، أي أن توبة الخاصة تكون من السؤال والتطهر من إرادة النفس. إلى أن تأتي توبة خاصة الخاصة التي يعبر عنها بقوله: التوبة الرجوع إلى الحق ظاهرًا وباطنًا، كما يقول في تفسير قوله: "تبت إليك" التوبة هي التنزيه. وفي موضع آخر يقول: تبت إليك أن أسألك سؤال المحال في غير الوقت[٣٨].

ثانيًا- مصطلح الخوف[٣٩]:

يمكننا أن نرصد مستويين دلاليين لمصطلح الخوف عند جعفر الصادق. الأول: وهو الخوف بمعناه المعروف كالخوف من عقاب الله وغضبه وفي ذلك يقول جعفر الصادق: كانوا في الدنيا على خوف العذاب[٤٠]، كما نجده يؤكد على أن هذا المستوى من الخوف يؤدي إلى الطاعة. ثم نجد المستوى الثاني للخوف وقد عبر عنه بالعبارات التالية: من دمعت عيناه خوفًا من هجري[٤١]، لا خوفًا على من أحبني وأزال عن قلبه محبة الأغيار[٤٢]، الخوف أن لا يكون بغير حاله عند الله عز وجل[٤٣]، وفي موضع آخر

---

[٣٤] علي زيعور، **الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص١٩٩.

[٣٥] سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

[٣٦] علي زيعور، **الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص١٤٤.

[٣٧] علي زيعور، **الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص٧٦.

[٣٨] علي زيعور، **الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص١٩٦.

[٣٩] تقدم الإمام الحسن البصري (ت: ١١٠هـ) على الإمام جعفر الصادق (١٤٨هـ) في الحديث عن مفهوم أو مقام الخوف في التصوف الإسلامي؛ حيث أخذ الإمام الحسن البصري شهرة واسعة في هذا الأمر لدى مؤرخي التصوف الإسلامي، حتى وُصف بأنه خليف الخوف والحزن، لمزيد من التفاصيل انظر: أبو نعيم الأصبهاني، **حلية الأولياء**، ج٢، ص١٤٩، الهجويري، **كشف المحجوب**، ج١، ص٢٩٤، فريد الدين العطار، **تذكرة الأولياء**، ج١، ص٢١٣، عبد الرحمن الشعراني، **الطبقات الكبرى**، ج١، ص٥١.

[٤٠] علي زيعور، **الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص٢٤٣.

[٤١] علي زيعور، **الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص١٢٤.

[٤٢] علي زيعور، **الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص١٥٠.

[٤٣] وردت هذه العبارة عند الإمام جعفر الصادق أثناء تفسيره للآية (مَسَّنِي الضُّرُّ) سورة الأنبياء، الآية رقم:٨٣. فقال: الضر على وجهين، ظاهر وباطن. فالباطن حركة النفس عند الوارد واضطرابها حين لا يقع لها من الله معونة؛ والظاهر ورود الآلام المتتابعة عليه. خاف بذلك أن يكون بغير حاله عند الله عز وجل.. انظر زيادات حقائق التفسير: الإمام جعفر الصادق، التفسير الصوفي،

يقول: الحزن على القلب مخافة القطيعة[٤٤]. وفي هذا المستوى يدخل مصطلح الخوف في علاقات لغوية متشابكة مع غيره من المصطلحات الأخرى كمصطلح (الهجر، القطيعة، كما أن المحبة تنفي وجود الخوف) على سبيل المثال. وإن صح انتساب هذا التفسير للإمام جعفر الصادق فإنه بذلك ربما يكون أول من تحدث عن **"خوف القطيعة"**. كما يمكن اعتباره أول من طور مفهوم الخوف بعد الحسن البصري (ت:١١٠هـ/٧٢٨هـ) ليضيف جعفر الصادق إلى مفهوم الخوف أبعادًا جديدة لم تكن موجودة لدى الحسن البصري.

ثالثًا- مصطلح التوحيد:

نجد عند جعفر الصادق عدة مستويات لمصطلح التوحيد. ففي المستوى الأول نجده يقول: درجات التوحيد ترك الهوى، الأخذ بآداب الأمر والنهي، إتمام الشريعة، الخلق العظيم[٤٥]، وهنا يتشابه معنى مصطلح التوحيد عند جعفر الصادق مع معاصره شقيق البلخي (ت: ١٩٤هـ) حيث قال البلخي: أحفظ مني ثلاث خصال توحد الله بقلبك ولسانك وشفتك، وأن تكون بالله أوثق مما في يديك، وأن ترضى عن الله[٤٦].

كما يمكننا أن نجد مستوى ثانٍ لمصطلح التوحيد عند جعفر الصادق حين يقول: التوحيد عدم السكون إلى الخلق، لا يطّلعن عليك فيرى في قلبك سواه فيمقتك[٤٧] على سبيل المثال. ويمكننا أن نجد مستوى ثالث أعلى من ذلك حين يقول: سقاهم التوحيد في السر فتاهوا عن جميع ما سواه[٤٨]، التوحيد عبادة السر الذي لا يعلم به إلا المعبود، أفنني عن نفسي حتى لا أسكن إلى غيرك[٤٩]. سقاهم المولى شراب السر من التوحيد فكشف لهم الحجاب فيما بينهم وبينه[٥٠]. وغير ذلك من العبارات.

وربما يمكننا معرفة معنى مصطلح التوحيد في كل مستوى من المستويات الثلاثة السابقة عن طريق رصد شبكة العلاقات اللغوية بين مصطلح التوحيد وغيره من المصطلحات في كل مستوى.. انظر الشكل الآتي:

ص٢١٥. ويفسر نفس الآية بشكل مختلف في حقائق التفسير، حين يقول: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) قال جعفر: حُبِس الوحي عنه أربعون يومًا فخشي الهجران من ربه والقطيعة، فقال: (مَسَّنِي الضُّرُّ)، انظر: عبد الرحمن السلمي، **حقائق التفسير**، ص١٢٢.

[٤٤] علي زيعور، **الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص١٥٠.

[٤٥] علي زيعور، **الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص٢٥٤.

[٤٦] الأصبهاني، **حلية الأولياء**، جـ٨، ص٦٠.

[٤٧] علي زيعور، **الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص٧٨.

[٤٨] علي زيعور، **الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص١٧٧.

[٤٩] علي زيعور، **الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص٢١٢.

[٥٠] علي زيعور، **الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص٢٤٥.

شكل رقم (١)
الحقول الدلالية لمستويات مصطلح التوحيد عند جعفر الصادق

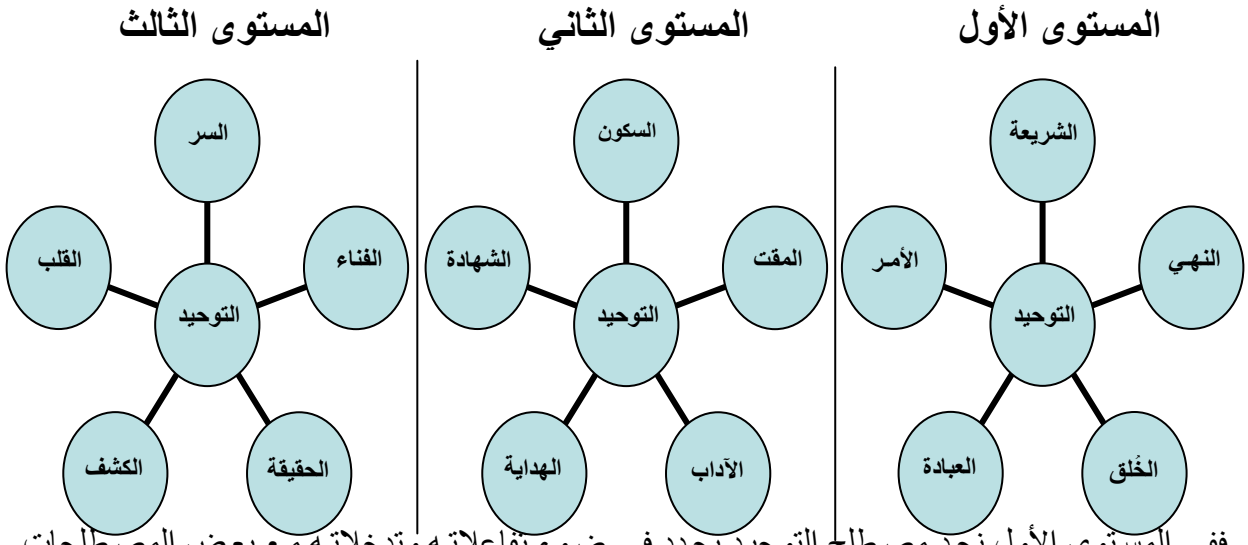

ففي المستوى الأول نجد مصطلح التوحيد يحدد في ضوء تفاعلاته وتدخلاته مع بعض المصطلحات الأخرى مثل: (الشريعة، الأمر، النهي، الآداب، الخُلق). وفي المستوى الثاني يُحدد في ضوء معناه العلاقي أو معناه السياقي أو الإضافي الذي يلحق بالكلمة نتيجة لدخولها في علاقات مع مفاهيم أخرى في إطار نظام مفهومي، مثل: (الشهادة، العبادة، الهداية، عدم السكون، عدم المقت). وفي المستوى الثالث يحدد مصطلح التوحيد نتيجة ما تتضمنه الإشارة اللغوية من صور ذهنية وكذلك شبكة العلاقات المعقدة بين مجموعة أو مجموعات من المفاهيم الأساسية التي تشكل حقلا دلاليا خاصا لمصطلح التوحيد، مثل: (السر، الفناء، الحقيقة، الكشف، القلب).. ومن الملاحظ أيضا أن بعض هذه المصطلحات ربما تأخذ في تطور صعودي (من الأدنى إلى الأعلى) مع مصطلح التوحيد، فمصطلح (السر) على سبيل المثال يأخذ مراتب متعددة: نجده في المرة الأولى على أنه (التوحيد في السر)، وفي المرة الثانية (عبادة السر)، وفي المرة الثالثة (السر من التوحيد). وهكذا تتضح الشبكة المفهومية (**Conceptual Network**) في ضوء العلاقات المعقدة والمتشابكة بين الحقول الدلالية ككل.

ومن الملاحظ أن مصطلح "التوحيد" عند جعفر الصادق يدخل في جدلية معقدة مع مصطلحي "**المقام والحال**"، لأنه في المستوى الأول يظهر على أنه مقام حين نجده يقول: (ترك الهوى- إتمام آداب الشريعة- الخُلق العظيم). وهذه الأمور كلها من المجاهدات التى يقوم بها الإنسان. أما في المستوى الثاني والثالث فإن مصطلح التوحيد يظهر بأبعاد مختلفة وتأتي أغلبها معبرة عن "حال" حين يقول: (نوحدك بهدايتك- أفنني عن نفسي- سقاهم التوحيد في السر- وغير ذلك). فهنا يظهر مصطلح التوحيد على أنه حال [هبة إلهية] وليس على أنه مقام [جهد بشري].

رابعًا- مصطلح المحبة:

شغلت نظرية الحب الإلهي لدى الصوفية كبار الباحثين شرقا وغربا، عربا ومستشرقين، فَسَطَّروا فيها آلاف الصفحات، وذلك لأن الصوفية كانوا أكثر منهم انشغالاً بها لدرجة تجعلنا نعتقد في بعض الأحيان أن

الحب الإلهى كاد أن يكون هو التصوف نفسه، ونظرا لأهمية هذه النظرية فإننا نعتقد بأهمية تناولها عند جعفر الصادق بأسلوب منهجي مفصل ربما قد يختلف عن أسلوب تحليلينا للمصطلحات السابقة.

أ- المعنى الأصلي لمادة "ح ب ب":

في اللغة: [ح ب ب] الحاء والباء والباء أصول ثلاثة، أحدها اللزوم والثبات، والآخر الحبّة من الشيء ذي الحبّ، والثالث وصف القصر.. وأما اللزوم فالحب والمحبة، اشتقاقه من أحبه إذا لزمه...[٥١]. حبب: الحُبُّ نَقيضُ البُغْض. والحب: الودادُ والمَحَبَّةُ، وكذلك الحبُّ بالكسر. وحُكي عن خالد بن نَضْلَة: ما هذا الحب الطارق؟ وَأَحَبَّهُ فهو مُحِبٌّ، وهو مَحْبُوبٌ على غير قياس هذا الأَكثُر، وقد قيل مُحَبٌّ، على القياس...[٥٢].

وقد أورد القشيري في الرسالة عدة تعريفات للحب نذكر منها قوله: "وقيل هو مأخوذ من الحب، والحب جمع حبة. حبة القلب ما به قوامه فسمي الحب حبًا باسم محله"[٥٣]. وقد ورد ذكر الحب في القرآن ثلاثا وثمانين مرة[٥٤]. إلا أن الصوفية قد اهتموا اهتمامًا كبيرًا بالآية (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) [سورة آل عمران، الآية:٣١] والآية (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) [سورة المائدة، الآية:٥٤] وسبب اهتمام الصوفية بهاتين الآيتين على وجه الخصوص هو إثبات الحب المتبادل بين الله والعبد[٥٥]. وليس الهدف هنا دراسة كلمة الحب في القرآن بل الهدف هنا هو الإشارة فقط إلى اهتمام الصوفية بشكل كبير بالآيات القرآنية التي ذكرت فيها كلمة حب.

ب- المعجم اللغوى لمادة "ح ب ب" عند الإمام جعفر الصادق:

نبين المعجم اللغوى لمادة [ح ب ب] في أقوال الإمام جعفر الصادق من خلال عرض المشتقات الموجودة في هذا الباب من الأفعال والأسماء، والتي وردت في كتاب **"حقائق التفسير"**، وكتاب **"زيادات حقائق التفسير"**، وتأتي في الجدول الآتي:

جدول رقم (١)

تصريف الأسماء الخاصة بمادة [ح ب ب] عند جعفر الصادق

نوع الاسم	الاسم	العدد
اسم الفاعل	مُحِبٌّ [مفرد]	٦

[٥١] **معجم مقاييس اللغة**، مادة حبب.

[٥٢] ابن منظور، **لسان العرب**، جـ٣، ص ٧.

[٥٣] عبد الكريم القشيري، **الرسالة القشيرية**، ص ١٤٤.

[٥٤] محمد فؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص٢٣٤. ٢٣٦.

[٥٥] لمزيد من التفاصيل انظر . **الحب الإلهي في التصوف الإسلامي "دراسة في التطور الدلالي:**

Giuseppe Scattolin, Ahmed Hasan, ***Love in the History of Sufism Experience and Language***, Journal of the Faculty of Arts, Port Said University, Volume 16, July 2020, pp.23-59.

المصدر	**مَحَبَّةُ**	**١١**
صفة مشبهة	**حبيب [مفرد]**	**١٣**
المجموع		**٣٠**

ت ـ ملاحظات بعد رصد الشكل اللغوي لمعجم مادة [ح- ب- ب]:

يمكننا أن نلاحظ ما يأتي: الأسماء فقط هي الموجودة في أقوال الإمام جعفر الصادق أما الأفعال فليس لها وجود. ومن الطبيعي أن ينتج عن ذلك أننا نكون على معرفة تامة منذ البداية بأن كل أقوال جعفر الصادق في المحبة هي عبارة عن جمل أسمية ولا يوجد لديه أي جملة فعلية على الإطلاق. وربما يعود سبب ذلك إلى ارتباط أقواله بتفسير آيات القرآن الكريم. وقد يرى بعض اللغويين أن الشكل اللغوى لمعجم مادة [ح- ب- ب] لدى الإمام جعفر الصادق قد يؤدي إلى ملاحظات أخرى. ولكننا نلتزم النهج الدلالي وبصورة محددة، لذلك التزمنا تقديم الشكل اللغوي لمادة [ح- ب- ب] كخطوة أساسية قبل الدخول في التحليل الدلالي.

ث ـ التحليل الدلالي (Semantic analysis) للأقوال:

وهذا هو مستوى المقاربة الدلالية المحددة لنص ما، ففي هذا المستوى تختبر المصطلحات في سياقها الفعلي وصلتها المطردة وعلاقتها المتبادلة في حقولها الدلالية التي ترد فيها تلك المصطلحات محبوكة في نسيج النص، وإن مقاربة كهذه قد تساعد في الإمساك بالمعنى الفعلي للمصطلح وقد يكون هذا الذي كان في ذهن المؤلف عند تصوره وتأليفه لذلك النص، وأبعد من هذا فبإمكاننا أن نربط حقول النص الدلالية معًا ملقين الضوء على علاقاتها المتبادلة التي من خلالها يظهر التركيب العام للنص[٥٦]، ومن هذا المنطلق سنشرع في عملية التحليل الدلالي لنصوص جعفر الصادق الواردة إلينا عن طريق عبد الرحمن السلمي (٤١٢هـ/١٠٢١م) في كتابه **"حقائق التفسير"**، وكتاب **"زيادات حقائق التفسير"**.

- **المستوى الأول لمصطلح المحبة**: يتحدد معنى المحبة في هذا المستوى من خلال تفاعل مصطلح المحبة مع بعض المصطلحات الأخرى مثل: (الطاعة، اتباع الرسول، استقامة الظاهر)، ولا يعبر معنى المحبة في هذا المستوى عن عمق الخبرة الروحية لدى الإمام جعفر الصادق، فهذا المستوى يرتبط بشكل مباشر بظاهر الشريعة من العبادات والطاعات.
- **المستوى الثاني لمصطلح المحبة**: وفي هذا المستوى نجد أن مصطلح المحبة يحدد في ضوء علاقاته وتفاعلاته الديناميكية مع بعض المصطلحات التي لم تكن ظاهرة في المستوى الأول، حيث يفُهم مصطلح المحبة من خلال معناه العلاقي Relational Meaning مع بعض المصطلحات مثل: (الوفاء بالعهد، الذكر، الهداية، الرعاية، التواضع، التقوى) ولا نستطيع رصد أي تطور صعودي لهذه المصطلحات التي تحدد معنى المحبة في هذا المستوى. ولكن كما يبدو قد يرتبط

[٥٦] جوزيبي سكاتولين، بحث بعنوان: **تحقيق ديوان عمر بن الفارض ومنهج لقراءة نص صوفي**، ص١٢٣٢.

مصطلح المحبة في هذا المستوى بالترقي الأخلاقي والصفاء الروحي بهدف التقرب إلى الله. ولكنه في نفس الوقت لا يعبر عن عمق الخبرة الروحية.

- **المستوى الثالث لمصطلح المحبة**: وفي هذا المستوى نجد أن مصطلح المحبة يحدد في ضوء علاقاته وتدخلاته مع بعض المصطلحات الأخرى مثل: (الفناء، البقاء، السكر، السر، المشاهدة، المناجاة، البلاء) وتعتبر هذه المصطلحات هي الكلمات المفتاحية Term- Key التي يصعب فهم معنى المحبة في هذا المستوى بدونها، فالعلاقة بين هذه المصطلحات ومصطلح المحبة من جهة، وتطور بعض هذه المصطلحات من جهة أخرى هو ما قد يكشف عن معنى المحبة لدى الإمام جعفر الصادق. والملفت للنظر أن بعض هذه المصطلحات قد تأخذ فى تطور صعودي مع مصطلح المحبة فمصطلح **البلاء** على سبيل المثال، نجده يأخذ عدة مستويات، فنجد الإمام جعفر الصادق يقول: من أحس بالبلاء في المحبة لم يكن محبًا[٥٧]، وفي موضع ثانٍ يقول: من شاهد البلاء في المحبة لم يكن محبًا[٥٨]. وفي موضع ثالث يقول: المحبة التلذذ بالبلاء[٥٩]. وفي هذا الموضع يتشابه موقف الإمام جعفر الصادق تشابهًا كبيرًا قد يصل إلى حد التطابق مع موقف عبد الملك الخركوشي (ت:٤٠٧هـ/ ١٠١٦م) صاحب كتاب تهذيب الأسرار، فقد وظف الخركوشي أيضا مصطلح البلاء بنفس الشكل والأسلوب[٦٠]، وتوقف كلاهما عن الارتقاء بمصطلح البلاء لما هو أعلى من ذلك وهو **"نسيان البلاء في المحبة"**. وصحيح أن الإمام جعفر الصادق قد ربط مصطلح المحبة بمصطلح المشاهدة إلا أنه في الوقت نفسه قد رفض أن تكون هي المشاهدة بمعناها المادي وأكد على ذلك في أثناء تفسيره لطلب سيدنا موسى عليه السلام: (قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) [سورة الأعراف، الآية: ١٤٣] حيث يقول الإمام جعفر: لا عين تراه في الدنيا[٦١].

---

[٥٧] علي زيعور، **الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص١٣٠.

[٥٨] علي زيعور، **الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص١٣٠.

[٥٩] علي زيعور، **الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص١٣٠.

[٦٠] انظر توظيف عبد الملك الخركوشي لمصطلح البلاء: جوزيبي سكاتولين وأحمد حسن، **الأبعاد الصوفية**، ص١٠٦- ١٠٧.

[٦١] عبد الرحمن السلمي، **حقائق التفسير**، ص٢٤٠.

شكل رقم (٢): الحقول الدلالية لمصطلح المحبة عند جعفر الصادق

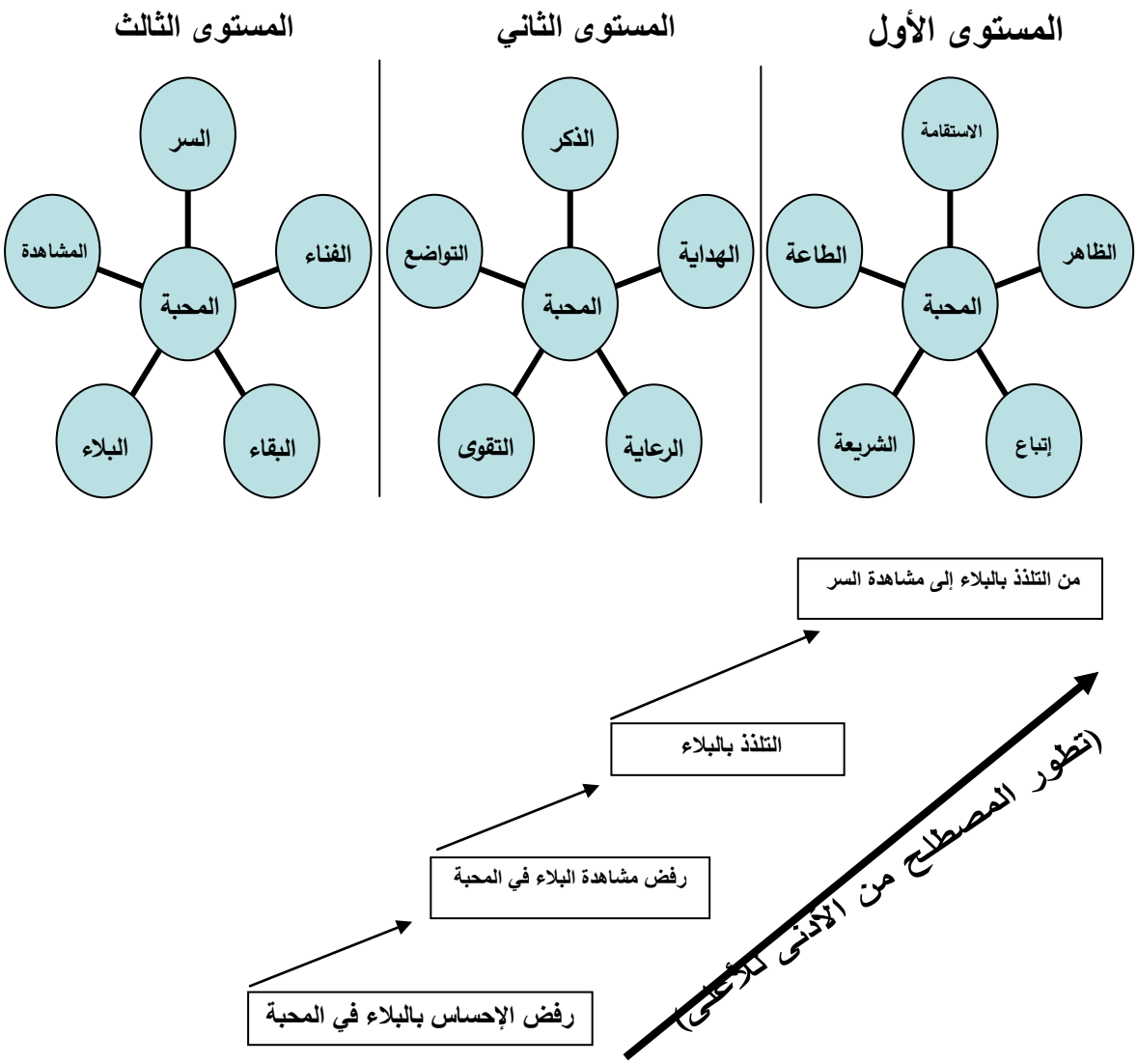

ج - السبق الزماني لاهتمام الإمام جعفر الصادق بمصطلح المحبة:

ذهب الدكتور عبد الرحمن بدوي إلى القول: نجد عند إبراهيم بن أدهم فقرات يعبر فيها عن الحب الإلهي، ويعدّ بهذا أول من تكلم فيها[٦٢]. وقد أكد على ذلك أيضا الدكتور محمد الراشد حينما قدم في كتابه **"نظرية**

[٦٢] عبد الرحمن بدوي، **تاريخ التصوف الإسلامي**، ص٢٣٤.

الحب والاتحاد في التصوف الإسلامي" بعض الصفحات عن إبراهيم بن أدهم تحت عنوان: موقف أول المحبين إبراهيم بن أدهم[٦٣]. ونجد نفس الرأى لدى الدكتور محمد علي أبو ريان في الصفحات التي كتبها عن إبراهيم بن أدهم[٦٤]. ونفس الشيء لدى الدكتور مصطفى حلمي[٦٥]، والدكتور صبرى متولي الشرقاوي[٦٦]، والدكتور محمد عبد الحميد[٦٧]. وهكذا يجمع أغلب الدارسين للتصوف على اعتبار إبراهيم بن أدهم (ت: ١٦١هـ/٧٧٨م) أول من تحدث عن المحبة. ويمكننا القول أنه طبقا لأقوال الإمام جعفر الصادق (ت: ١٤٨هـ/٧٦٥م) الواردة إلينا في كتابي **"حقائق التفسير"** و**"زيادات حقائق التفسير"**، فإننا يمكن أن نعتبره قد سبق إبراهيم بن أدهم ورابعة العدوية في ذلك، بل ربما اعتبرناه أول من تحدث عن المحبة في حركة الزهد والتصوف بشرط أن نثق فيما نقله لنا عبد الرحمن السلمي (ت: ٤١٢هـ/١٠٢١م).

والحقيقة أن إشكالية مدى انتساب هذا التفسير للإمام جعفر الصادق قد شغلتنا مرارًا وتكرارًا إلى أن ذكرنا البروفيسير الأمريكي ميشيل ساليس (**Michael Sells**) إلى أن هناك مخطوطتين لتفسير جعفر الصادق قبل عصر عبد الرحمن السلمي، وأن هاتين المخطوطتين تطابقا ما قدمه عبد الرحمن السلمي[٦٨]. وهذا أيضا ما يقوله الباحث العراقي بولس نويا (**Paul Nwyia**)[٦٩]. وهو نفسه ما ذكره من قبل المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون (**Louis Massignon**) الذي ذهب إلى القول بأن ذا النون المصري (ت:٢٤٦هـ/ ٨٦١م) هو الناشر الأول لتفسير الإمام جعفر الصادق ولا نعرف بالضبط كيف انتقلت إليه الأقوال الجعفرية ربما كان ذلك عن طريق جابر بن حيان (ت:٢٠٠هـ/٨١٥م) كما أنه يوجد لدى الشيعة بعض الروايات التي تؤكد نسبة هذا التفسير لجعفر الصادق، وأن هذه الروايات الشيعية تجد ما يوازيها لدى السنة [٧]. وتأتي الكلمة الأخيرة في هذا الموضوع للعلامة الألماني (**Josef Ven Aiss**) جوزيف فان أس الذي ذهب إلى القول بأنه يجب فصل ما يسمى تفسير جعفر الصادق عن التفسيرات الشيعية للقرآن الكريم، فلا مكان له فى هذا الموضع، إنه لا يصبح في المصادر الشيعية ملموسًا إلا من خلال مساعي محمد بن إبراهيم النعمان (ت: ٣٦٠هـ/ ٩٧١م) تلميذ للكليني الذي جمع النص من مواد أكثر قدما إلا أنه يوجد صيغة سنية قديمه لهذا التفسير قد جمعت من قبل المتصوف أحمد بن عطاء الأدمي (ت: ٣٠٩هـ/٩٢٢م) وعلى أية حال؛ ففي تفسير الإمام جعفر الصادق خوطب الخلفاء الأربعة الأوائل (أبو بكر

---

[٦٣] محمد الراشد، **نظرية الحب والاتحاد في التصوف الإسلامي**، ص٧٤.

[٦٤] محمد علي أبو ريان، **الحركة الصوفية في الإسلام**، ص٨٨– ٨٩.

[٦٥] ذهب الدكتور مصطفى حلمي إلى تقديم بعض عبارات إبراهيم بن أدهم في المحبة؛ لمزيد من التفاصيل انظر: مصطفى حلمي، **الزهاد الأوائل** ص١٩١–١٩٢.

[٦٦] لم يقدم الدكتور صبري متولي الشرقاوي نصوصًا في المحبة لشخصيات سابقة على إبراهيم بن أدهم، بل قدم أقوالاً وشرحًا وتحليلاً لعدة أقوال لإبراهيم بن أدهم في موضوع المحبة، لمزيد من التفاصيل انظر: صبري متولي الشرقاوي، **الحب الإلهي عند صوفية القرنين الثالث والرابع الهجريين**، ص٣٩، وص٥٢، وص٥٣، وص٥٤.

[٦٧] قدم الدكتور محمد عبد الحميد أكثر من ١٠ صفحات لتحليل موقف إبراهيم بن أدهم من المحبة، وقد ذهب إلى القول بأن إبراهيم بن أدهم قد سبق رابعة العدوية في الحديث عن المحبة والشوق والأنس...، لمزيد من التفاصيل انظر: محمد عبد الحميد، **إبراهيم بن أدهم شيخ الزاهدين وإمام المتصوفين**، ص٢١٥– ٢٢٦.

[68] Michael Sells, ***Early Islamic Mysticism***, Paulist Press, New York, 1996, p77.

[69] **Paul Nwyia, *Exegèse coranique*,** p.158- 159.

[70] Louis Massignon**, *Essai sur les origines du lexique*,** P. 201-206.

الصديق، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، على بن أبي طالب) على أنهم أنوار الأرض وهذا واضح من نصوص الإمام جعفر الصادق دون أدنى شك[٧١].

خامسًا- مصطلح المعرفة:

بعد كل ما ذكرناه ليس من الغريب أن نجد للإمام جعفر الصادق عدة أقوال في المعرفة، فقد ذهب الدكتور عبد القادر محمود إلى القول: بأن مضمون رأي القشيري والعطار يدل على أن جعفرًا الصادق هو واضع أساس التصوف المتطور عن الزهد، وقد سار وراءهما في الرأي ابن الجوزي والسلمي اللذان أكدا أنه واضع أساس المصطلحات الصوفية التي شكلت العناصر الأولى للمقامات والأحوال[٧٢]. وينتقل الدكتور عبد القادر محمود من هذه المقدمة إلى مناقشة ما أسماه بمصطلح المعرفة لدى الإمام جعفر الصادق ليبدأ بالعبارة المنقولة من القشيري: "سئل جعفر الصادق ما بالنا ندعو الله فلا يستجاب لنا، فقال: لأنكم تدعون من لا تعرفونه"[٧٣]. ويرى الدكتور عبد القادر محمود أن الصادق بهذا يحدد لنا البذور الفلسفية لمصطلح المعرفة[٧٤] من منظور التصوف. ليس هذا فحسب بل لقد ذهب إلى أبعد من ذلك حينما اعتبر الإمام جعفر الصادق يمثل مدرسة في الزهد أثرت بشكل واضح المعالم في كل من: (إبراهيم بن أدهم، سفيان الثوري، جابر بن حيان) حتى امتد تأثيره إلى عبد الرحمن السلمي (ت: ٤١٢هـ/١٠٢١م)[٧٥].

وإذا انتقلنا إلى عمل تحليل دلالي لمصطلح المعرفة عند جعفر الصادق لاكتشفنا أن مصطلح المعرفة هو الكلمة المركزية **Focus Word** لدى الإمام جعفر الصادق. ويمكن أن يظهر من خلالها النظام المفهومي **Conceptual System** لرؤيته لموضوع المصطلحات الصوفية. فهذا المصطلح **"المعرفة"** ذو أهمية استثنائية **Exceptionally important** حيث يتجمع حوله العديد من المصطلحات المفتاحية **Keywords Term** والحقول الدلالية.

ويقدم لنا الإمام جعفر الصادق العديد من الأقوال المهمة المرتبطة بالمعرفة، لنقدم بعضها على سبيل المثال لا الحصر: "لن تنالوا معرفتي وقربي حتى تخرجوا من أنفسكم وهممكم بالكلية"[٧٦]، "المعرفة هي الحياة بالله"[٧٧]، "الخروج من مشاهدة المعرفة إلى مشاهدة الذات"[٧٨]. والعديد من العبارات التي يتحدث فيها عن المعرفة.. وليس من السهل الاستدلال على ثلاثة حقول دلالية لمصطلح المعرفة لدى الإمام جعفر الصادق كما فعلنا مع مصطلح التوبة والخوف والتوحيد والمحبة... لان أقواله في هذا المجال لا تقدم ذلك، بل تقدم شيئًا آخر، حيث يمكن من خلال تتبع مصطلح المعرفة محاولة الوصول إلى رؤية الإمام جعفر الصادق لموضوع المصطلحات الصوفية بشكل كامل، انظر الشكل الآتي:

---

[71] Josef Ven Ass**, *Theolog und Gesellschan im 2, und3, Jahr hundert Hidschar, Bd1*,** Walter de Gruyter, Berlin, 1990, P. 223-224.

[٧٢] عبد القادر محمود، **الفلسفة الصوفية في الإسلام**، ص ١٥٦.

[٧٣] عبد الكريم القشيري، **الرسالة القشيرية**، ص١٥٦ نقلا عن عبد القادر محمود، **الفلسفة الصوفية في الإسلام**، ص١٥٦.

[٧٤] عبد القادر محمود، **الفلسفة الصوفية في الإسلام**، ص ١٥٦.

[٧٥] لمزيد من التفاصيل انظر: المرجع السابق، ص ١٥٦– ١٦٠.

[٧٦] علي زيعور، **الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص١٠٧.

[٧٧] علي زيعور، **الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص٩٢.

[٧٨] علي زيعور، **الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص١١٢.

شكل رقم (٣)
مصطلح المعرفة وعلاقته بالمصطلحات الصوفية الأخرى عند جعفر الصادق

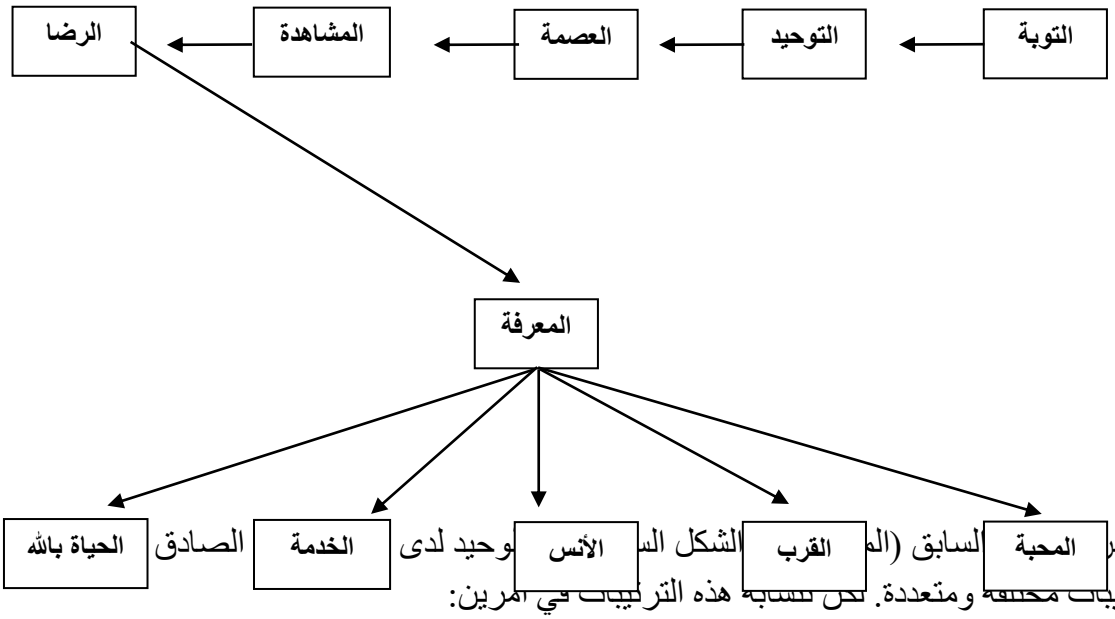

وليس السابق (الم الشكل الس وحيد لدى الصادق نجد ترتيبات مختلفة ومتعددة. لكن تشابه هذه الترتيبات في أمرين:

- الأول: في الاتفاق على اتخاذ مصطلح المعرفة كمصطلح مركزي (**focus term**) لها.
- الثاني: أنه يمكن تقديم وصفين لمصطلحات الصوفية عند جعفر الصادق، الوصف الأول هو مصطلحات ما قبل "**المعرفة**"، والوصف الثاني هو مصطلحات ما بعد "**المعرفة**". ففي مصطلحات ما قبل المعرفة يمكن أن نجد: التوبة، والتوحيد، والعصمة والمشاهدة.. أما في مصطلحات ما بعد المعرفة فنجد: المحبة والقرب والأنس وما شابه ذلك.

ويمكن أن ننظر مثلا إلى ترتيب آخر مختلف في عبارة الإمام جعفر الصادق الشهيرة: "انبجست من المعرفة إثنتا عشرة عين يشرب كل أهل مرتبة في مقام من عين من تلك العيون على قدرها....."[٧٩]، فهذه العبارة تقدم ترتيبًا مختلفًا لمصطلحات صوفية تدل على حالات وجدانية مترتبة على المعرفة.

[٧٩] علي زيعور، **الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن**، ص٩١.

ويتفق موقف بولس نويا مع موقف المستشرقة آنا ماري شيمل: على أن العبارة السابقة للإمام جعفر الصادق ترسم لنا بنية وملامح الخبرة الروحية التي يصعد من خلالها من عين إلى عين.. حيث ينبع من المعرفة اثنتا عشرة عينا.. وهذا الصعود يشير إلى اثني عشرة مرحلة التي قد تشير إلى نظرية متدرجة في الخبرة الروحية[٨٠]. ولكن علينا أن نتذكر دائما أن هذا النظام أو الترتيب لهذه المصطلحات (طبقا لعبارة الإمام جعفر الصادق الأخيرة، أو طبقا للشكل السابق) قد يتغير من نص لآخر، ومن معنى لآخر، دون ثبات واضح المعالم، وإن دل ذلك على شيء فإنه قد يدل على أحد أمرين؛ **الأول**: قد يدل هذا التغير في الترتيب على أن هذه النظرية "المعرفة" لم تزل عند جعفر الصادق في مرحلة التكوين وأن عناصرها لم تثبت بعد وإنما قابلة للتغير والتحول. **والثاني**: ربما دل هذا التغير الدائم في الترتيب على ديناميكية الخبرة الروحية لدى الإمام جعفر الصادق، مما ي[٨١]جعلها تتغير في الترتيب من آن لآخر.

والجدير بالذكر أن المصنفات الصوفية عادة ما تنسب الريادة حول هذه الفكرة "المعرفة"[٨٢] لذى النون المصري (ت:٢٤٦هـ/٨٦١م) وكثيرا ما نجد بعض الصوفية وحتى دارسي التصوف يعتبرون أن ذا النون المصري هو أول من تحدث عن مصطلح أو مفهوم **"المعرفة"**.. وهذا أمر يحتوي على الكثير من المغالطات.. فقد كان ذو النون الناشر الأول لتفسير جعفر الصادق، ولسنا متأكدين كيف وصل إليه، أغلب الظن عن طريق جابر بن حيان[٨٣]. وتؤكد أيضا الباحثة الألمانية آنا ماري شيمل على ذلك قائلة في أثناء حديثها عن الإمام جعفر الصادق: أنا لا أوافق إدوارد. غ. براونر (**Edward. G. Browner**)[٨٤] في قوله إن ذا النون المصرى هو أول من كون نظرية المعرفة وإنه أعطى الزهد فى مراحله المبكرة صبغة وحدة الوجودية والشكل الجمالي الذي هو الطابع الأساسي للصوفية"[٨٥]. ونتيجة لكل ما سبق: نعتقد أن ذا النون المصرى قد تأثر بشكل مباشر أو غير مباشر برؤية الإمام جعفر الصادق لمصطلح المعرفة، وتكتمل الدائرة أكثر فأكثر إذا كان تفسير الإمام جعفر الصادق قد وصل إليه عن طريق جابر بن حيان.

٦ـ النتائج:

يتفق عدد كبير من كبار الباحثين الغربيين (مثل: لويس ماسينيون، آنا ماري شيمل، ميشيل ساليس، بولس نويا، جوزيف فان إس، وغيرهم) على نسب ما قدمه عبد الرحمن السلمي في حقائق التفسير وزيادات حقائق التفسير إلى جعفر الصادق. رغم أنهم قد وجدوا عدة مصادر سابقة لهذا التفسير. سواء لدى ذي النون المصري (ت:٢٤٦هـ/ ٨٦١م) الذي اعتبره لويس ماسينيون الناشر الأول لهذا التفسير. أو لدى

---

[80] Paul Nwyia, ***Exegèse coranique***,p 171.

– وانظر أيضا: آنا ماري شيمل، **الأبعاد الصوفية في الإسلام**، ص٥١.

[81]

[٨٢] عادة ما تنسب الكتب الصوفية الريادة في الحديث عن موضوع المعرفة إلى ذي النون المصري، باستثناء الدكتور أبو الوفا التفتازاني. حيث حاول البحث عن ذلك لدى شخصيات سابقة على ذي النون المصري، حينما قال: لعل أول من تكلم في المعرفة معروف الكرخي.. لمزيد من التفاصيل انظر: أبو الوفا التفتازاني، **مدخل إلى التصوف الإسلامي**، ص١٠٠.

[83] Paul Nwyia**, *Exegèse coranique***, 1970. p 171.

[84] Edward. G. Browner, ***A Literary History of Persia***, Cambridge Press, 1957, p.505.

[85] Annemarie Schimmel**, *Mystical Dimensions of Islam***, North Carolina Press, 1975, p.43.

أحمد بن عطاء الآدمي (ت: ٣٠٩هـ/٩٢٢م) الذي اعتبره جوزيف فان أس أول من قام بتجميع تفسير الإمام جعفر الصادق.

ليس هذا فحسب بل إن كثرة الاستشهاد بالإمام جعفر الصادق فى التفسيرات القرآنية عبر التاريخ الإسلامي (كما أوضحنا سلفا) يتفق مع ما قدمه عبد الرحمن السلمي، وبذلك يصعب التشكيك في نسبة هذا التفسير للإمام جعفر الصادق. فلو كان هذا التفسير من اختراع عبد الرحمن السلمي، فكيف أثر إلى هذا الحد في التفسيرات القرآنية (حتى التفسيرات السابقة على عبد الرحمن السلمي كتفسير الطبري على سبيل المثال) على مر العصور؟!. وكيف استشهد به دون شك أو نقد؟!

زد على ذلك أن الدراسة الدلالية تثبت ترابطًا وثيقًا واتساقًا بنيويًا بين أقوال الإمام جعفر الصادق. وقد يظهر هذا بوضوح في الحقول الدلالية لمصطلحاته، مما قد يساعد في رفض شكوك البعض حول انتساب هذا التفسير للإمام جعفر الصادق. حيث يسهل التشكيك في نصوص تفتقد إلى الاتساق الداخلي بين بعضها البعض.. أما كل ما قدمه السلمي ونسبه للإمام جعفر الصادق لا يناقض بعضه البعض بل العكس هو الصحيح.. (ويجب أن نتذكر أن بعض ما قدمه السلمي قد ورد في مصادر أخرى سابقة عليه) ولعل الدليل الأكبر على ذلك هو تمركز مصطلح "المعرفة" الذي يجعل رؤية الإمام جعفر الصادق تنقسم قسمين؛ قسم ما قبل المعرفة، وقسم ما بعد المعرفة. فمن خلال هذا المصطلح يظهر النظام المفهومي الكامل Conceptual System لرؤيته للموضوع الذي أطلق عليه فيما بعد **"المصطلحات الصوفية"**، وشبه مستحيل أن يظهر ترابط وثيق بهذا الشكل في النصوص المزيفة.

ويترتب على اعتبارهم هذا التفسير لجعفر الصادق عدة نتائج من أهمها:

أولاً: يعتبر الإمام جعفر الصادق بذلك هو أول من طور مفهوم الخوف بعد الإمام الحسن البصري.

ثانيًا: يعتبر الإمام جعفر الصادق هو أول من تحدث في المحبة، وبذلك يمكن أن نختلف مع العديد من الدراسات التي أقرت بأن إبراهيم بن أدهم (ت:١٦١هـ) هو أول المحبين.

ثالثًا: قد يكون الإمام جعفر الصادق هو أول من أدخل نظام التقسيم الثلاثي للمصطلح الواحد، وأصبح هذا المبدأ من المباديء الجوهرية لدى الصوفية، وقد ظهر أثر هذا المبدأ بوضوح لدى صوفية القرنين الرابع والخامس الهجريين.

رابعًا: قد يكون الإمام جعفر الصادق أول من تحدث صراحة عن الفرق بين (**الظاهر**) و(**الباطن**) بمعناهما الإصطلاحي في التصوف الإسلامي، ولنا أن نتذكر أن عدة مصادر صوفية [غير عبد الرحمن السلمي] قد ربطت هذان المصطلحان ربطًا مباشرًا بالإمام جعفر الصادق.

المصادر والمراجع العربية

١. ابن منظور، ***لسان العرب***، تحقيق أمين عبد الوهاب، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ١٩٩٩.
٢. أبو الحسن الهجويرى، ***كشف المحجوب***، ترجمة إسماعيل ماضى أبو العزائم، دار التراث العربى للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون تاريخ.
٣. أبو الوفا التفتازانى ، ***مدخل إلى التصوف الإسلامى***، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٩.
٤. أبو بكر الكلاباذى، ***كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف***، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣.
٥. أبو نعيم الأصبهانى، ***حلية الأولياء وطبقات الأصفياء***، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٩٨٠.
٦. أحمد خواجه، ***الله والإنسان فى الفكر العربى الإسلامى***، منشورات عويدات، باريس، ١٩٨٣.
٧. أحمد عطية الله، ***القاموس الإسلامى***، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٣.
٨. آنا مارى شيمل، ***الأبعاد الصوفية فى الإسلام وتاريخ التصوف***، ترجمة محمد إسماعيل السيد، دار الجمل، كولونيا، ألمانيا، ٢٠٠٦.
٩. جوزيبى سكاتولين وأحمد حسن، ***التجليات الروحية فى الإسلام نصوص صوفية عبر التاريخ***، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨.
١٠. جوزيبي سكاتولين، ***تحقيق ديوان عمر بن الفارض ومنهج لقراءة نص صوفى***، نشر بمجلة المؤتمر الدولى الثانى بعنوان: "المستشرقون والدراسات العربية والإسلامية، رابطة الجامعات الإسلامية، مصر، ٢٠٠٦.
١١. الحليم الجندي، ***الإمام جعفر الصادق***، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦.
١٢. خير الدين الزركلى، ***الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء***، دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٩٥.
١٣. سيد عبد التواب، ***الرمزية الصوفية فى القرآن الكريم***، دار المعارف، ١٩٧٩.
١٤. صبرى متولى الشرقاوى، ***الحب الإلهى عند صوفية القرنين الثالث والرابع الهجريين***، المكتبة المصرية، الإسكندرية، ٢٠٠٤.
١٥. عبد الرحمن السلمى، ***حقائق التفسير***، تحقيق سيد عمران، دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠١.
١٦. عبد الرحمن السلمى، ***طبقات الصوفية***، تحقيق نور الدين شريبه، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٨٦.
١٧. عبد الرحمن بدوى ، ***تاريخ التصوف الإسلامى من البداية حتى نهاية القرن الثانى***، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٥.
١٨. عبد القادر محمود، ***الفلسفة الصوفية فى الإسلام: مصادرها ونظرياتها ومكانها من الدين والحياة***، دار الفكر العربى، ١٩٦٦.
١٩. عبد الكريم القشيرى، ***الرسالة القشيرية***، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، دار الكتب الحديثة، القاهرة، بدون تاريخ.
٢٠. عبد الملك الخركوشى، ***تهذيب الأسرار***، تحقيق بسام بارود، المجمع الثقافى، أبو ظبى، الإمارات، ١٩٩٩.

٢١. عبد الوهاب الشعرانى، ***الطبقات الكبرى***، دار الفكر العربى، القاهرة، بدون تاريخ.
٢٢. على زيعور، ***الإمام جعفر الصادق كامل التفسير الصوفي العرفانى للقرآن بحسب "حقائق التفسير" و"زيادات حقائق التفسير" للسلمى الشافعى***، دار البراق، بيروت، ٢٠٠٢.
٢٣. على سامى النشار، ***نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام***، دار المعارف، ١٩٨٠.
٢٤. فريد الدين العطار، ***تذكرة الأولياء***، ترجمة منال عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦.
٢٥. محمد الراشد، ***نظرية الحب والاتحاد فى التصوف الإسلامى***، دار الأوائل، دمشق، ٢٠٠٦.
٢٦. محمد بن المنور بن أبى سعيد، ***أسرار التوحيد فى مقامات أبى سعيد***، ترجمة وتقديم إسعاد عبد الهاد قنديل، المجلس الأعلى للترجمة، القاهرة، مصر، ٢٠٠٧.
٢٧. محمد عبد الحميد، ***إبراهيم بن أدهم شيخ الزاهدين وإمام المتصوفين***، دار الهدى للنشر والتوزيع، المنيا، مصر، ٢٠٠٧.
٢٨. محمد على أبو ريان، ***الحركة الصوفية فى الإسلام***، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦.
٢٩. محمد فؤاد عبد الباقى، ***المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم***، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٦.
٣٠. مصطفى حلمى، ***الزهاد الأوائل دراسة فى الحياة الروحية الخالصة فى القرون الأولى***، دار الدعوة للطبع والنشر، الإسكندرية، ١٩٧٩.

المراجع الأجنبية

1. Giuseppe Scattolin & Ahmed Hasan, **Love in the History of Sufism Experience and Language**, Journal of the Faculty of Arts, Port Said University, Volume 16, July 2020, pp.23-59.
2. Josef Ven Ass, T**heolog und Gesellschan im 2, und3, Jahr hundert Hidschar, Bd1**, Walter de Gruyter, Berlin, 1990.
3. Louis Massignon, **Essai sur les origines du lexique téchnique de la mystique musulmane**, Paris, Cerf, 1999 (1ed. Geuthner, 1922; Vrin, 1954).
4. Michael Sells, **Early Islamic Mysticism**, Paulist Press, New York, 1996.
5. Paul Nwyia, **Exegèse coranique et langage mystique**, Dar al-Machreq, Beirut, 1970.
6. Annemarie Schimmel, **Mystical Dimensions of Islam**, Chapel Hill (North Carolina): The University of North Carolina, 1975.

Imam Ja'far al-Sadiq (148 AH/765 AD) and the Emergence of Sufi Terms

Dr . Ahmed Hasan Anwar Dr. Reham Abu Al-Maati

ahmed5658103@yahoo.com rehammaaty@gmail.com

Abstract:

This research deals with the emergence of some Sufi terms in an early period of the history of Islamic Sufism—the period called "Asceticism Movement in Islam," particularly in the first half of the second century AH, with the character of Imam Ja'far al-Sadiq (148 AH/765 AD) who gained a central position later on in "The Sufi Compilations" which were recorded in the fourth and fifth centuries AH thanks to his spiritual experience which obviously appeared through tracing some of his Sufi terms.

It is worth mentioning that this research has revealed that the first appearance of the three levels (or the triple division) of the Sufi terms (Public, Private, and the Elite) can be obviously noticed by the researchers, with Imam Ja'far al-Sadiq (148 AH, 765 AD). This division clearly influenced the various Sufi compilations following it.

The research focused on recording Imam Ja'far al-Sadiq's Sufi vision and experience, especially the following Sufi terms: (Repentance, Fear, and Monotheism). Furthermore, the research focused on the depth of his Sufi experience which clearly appeared with the researchers' monitoring of his position of the term "Love/Affection." This is through recording the linguistic lexicon of the root (ħa ba ba), beginning with his texts up to finally reaching the triangular semantic field of the term love for him—with clarifying his chronological precedence of interest in the concept of love.

Key words:

mam Ja'far al-Sadiq , Sufi Terms, Islamic Sufism